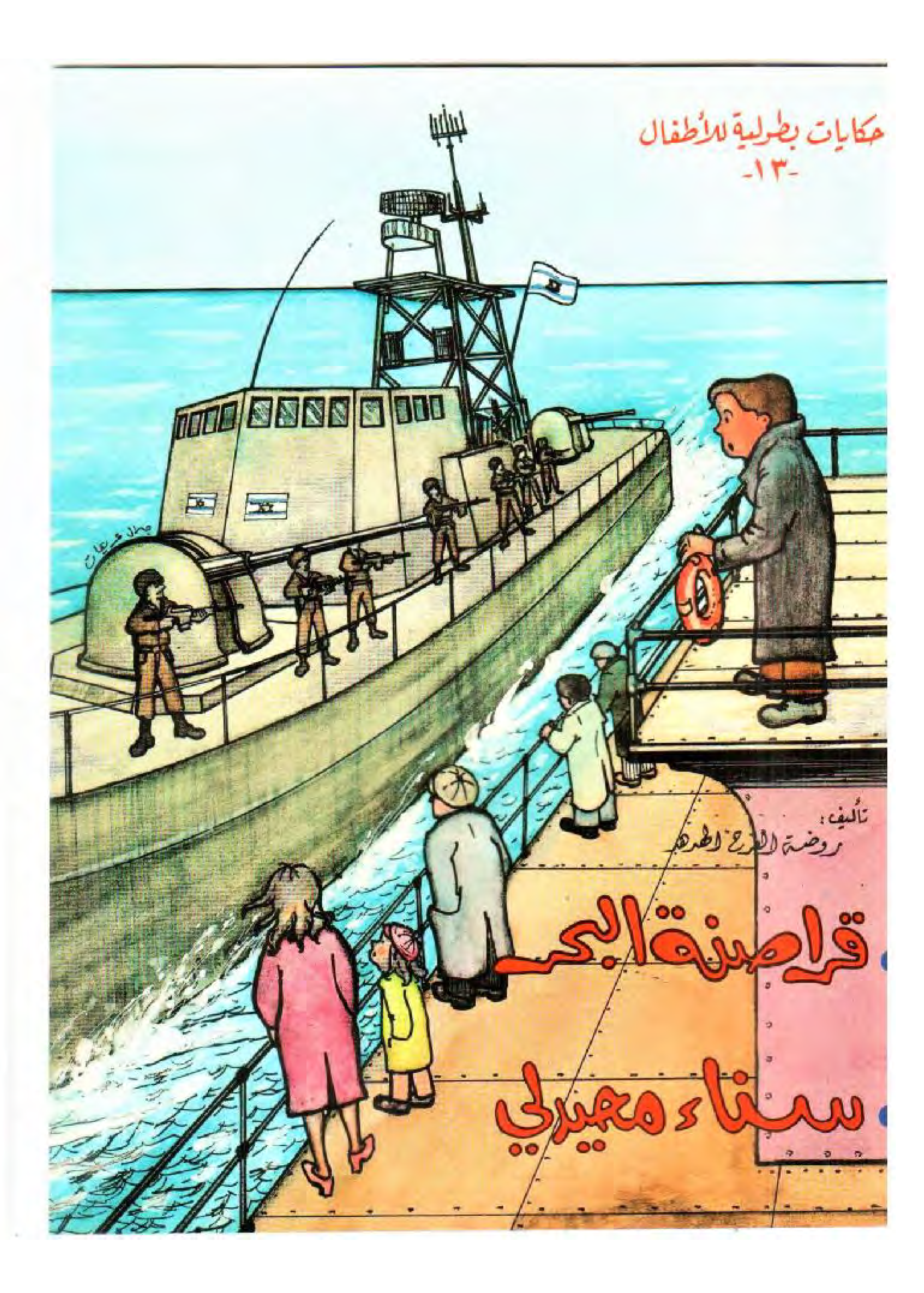


حكايات بطولية للأطفال
-١٣-
تأليف:
روضة الفرخ الهدهد
قراصنة البحر
سناء محيدلي

حكايات بطولية للأطفال

-١٣-





تأليف:

روضة الفرخ الهدهد

رسوم:

جلال ابراهيم عريقات

قراصنة البحر



أطلقتِ السفينةُ صفاراتِها مؤذنةً للرحيل..
و تفقدَ الركابُ حاجياتهم من أوراقِ السفرِ
و الأمتعةِ..



وانطلق إبراهيم من غرفته في السفينة إلى ظهرها.. يريد أن يراقب الشاطئ القبرصي الجميل في مدينة لارنكا وهو يبتعد قليلاً قليلاً عن السفينة حتى غاب عن الأبصار..

كان رذاذ الماء يملأ وجه إبراهيم ومعطفه الجلدي الذي يغطي رأسه وحتى أخمص قدميه..



فلمّا غابت الأشجارُ والبيوتُ والطرقاتُ من أمامِ ناظريهِ، وتوسّطت السفينةُ البحرَ فلم يعُدْ هناكَ ما يراهُ الآنَ المياهَ منْ كلِّ جانبٍ..

سرتْ قشعريرةُ بردٍ في جسدِهِ فعادَ مسرعاً إلى غرفتِهِ وإلى من تركَهُ فيها..
في تلكَ الغرفةِ كانَ والدُ إبراهيمَ يجلسُ وحيداً لا يغادرُها، وقد وضعَ بجانبِهِ عصاً كبيرةً ورجلاً إصطناعيةً في نهايتِها حذاءٌ كبيرٌ، بينما غطى وجهَهُ بنظارةٍ سوداءَ كبيرةٍ.. وقد تعوّدَ إبراهيمُ على منظرِ والدِهِ برجلِهِ المقطوعةِ وعينِهِ المعصوبةِ.. ولكنّهُ إستغربَ عنوانَ الكتابِ الذي كانَ بينَ يديهِ فسألَه.. !؟

- ما معنى قراصنة البحرِ يا والدي..؟







تلك قصة طريفة أقرؤها..
اشتريتها كي أتسلى بها أثناء
السفر.. إنها قصة قديمة
عن لصوص البحر وهم
يسطون على إحدى السفن
التجارية والقراصنة هم لصوص
البحر.

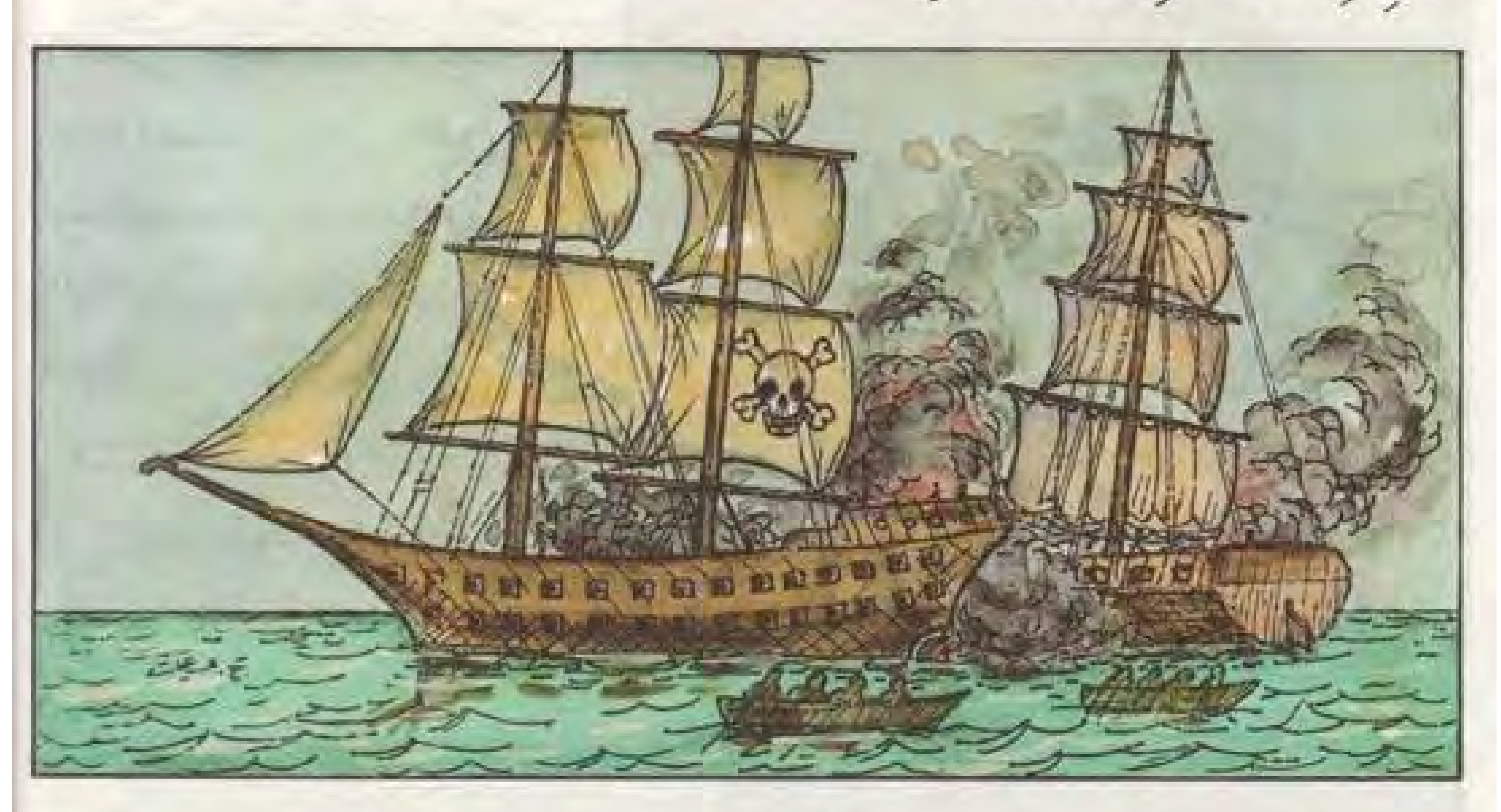


فتملك إبراهيم بعض الدهشة
فقال:
- وهل في البحر لصوص؟

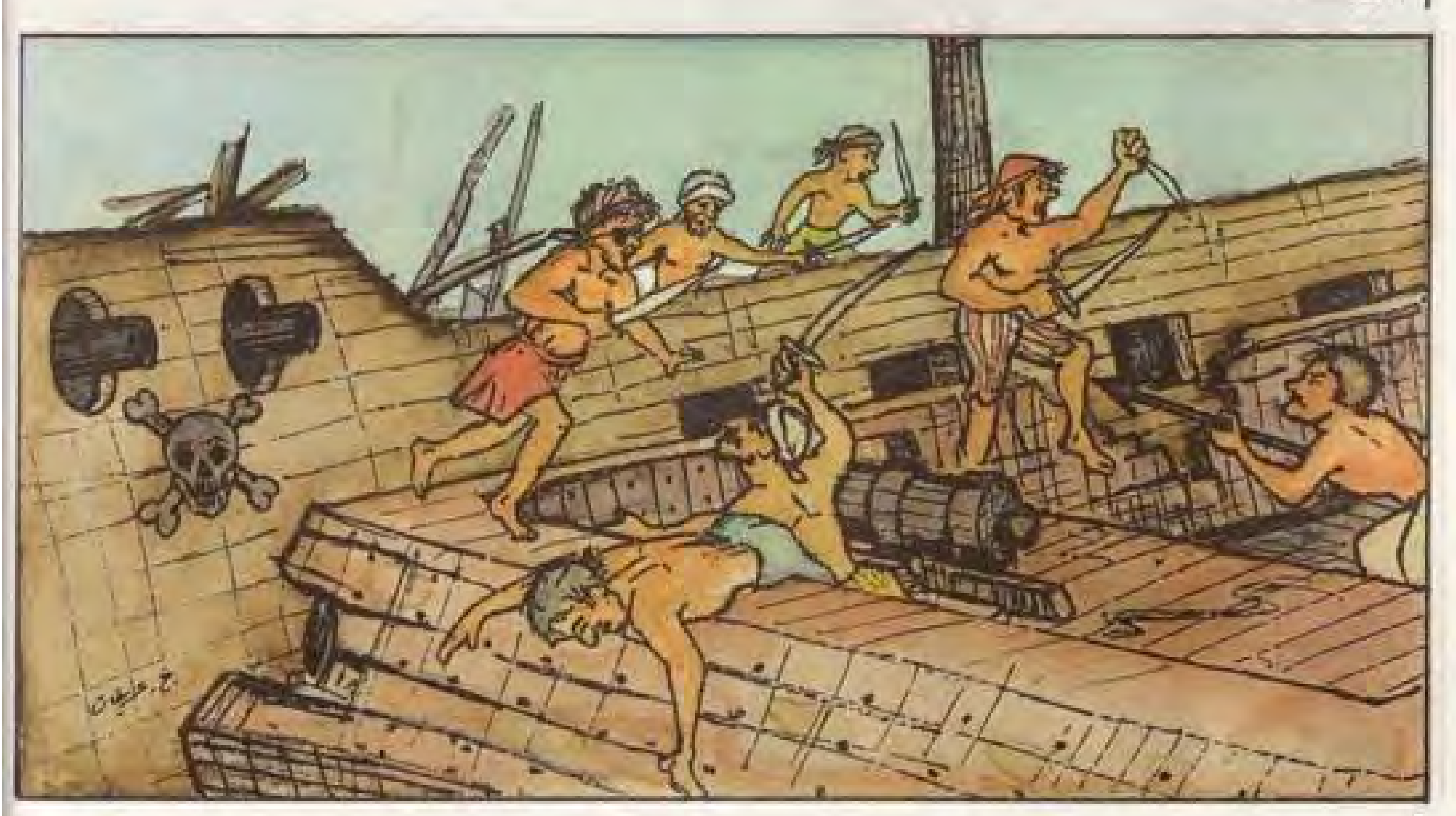


ذلك كان في غابر الأزمان
فكما كان هناك قطاع طرق
يهاجمون القوافل والعربات..

كانَ هناكَ قراصنةُ بحرٍ، متخصصونَ في الإعتداءِ على السفنِ البحريةِ لسرقةِ الأموالِ والأمتعةِ..



أو لسرقةِ الرجالِ والنساءِ والأطفالِ لبيعهم عبيداً في بلدانٍ أخرى



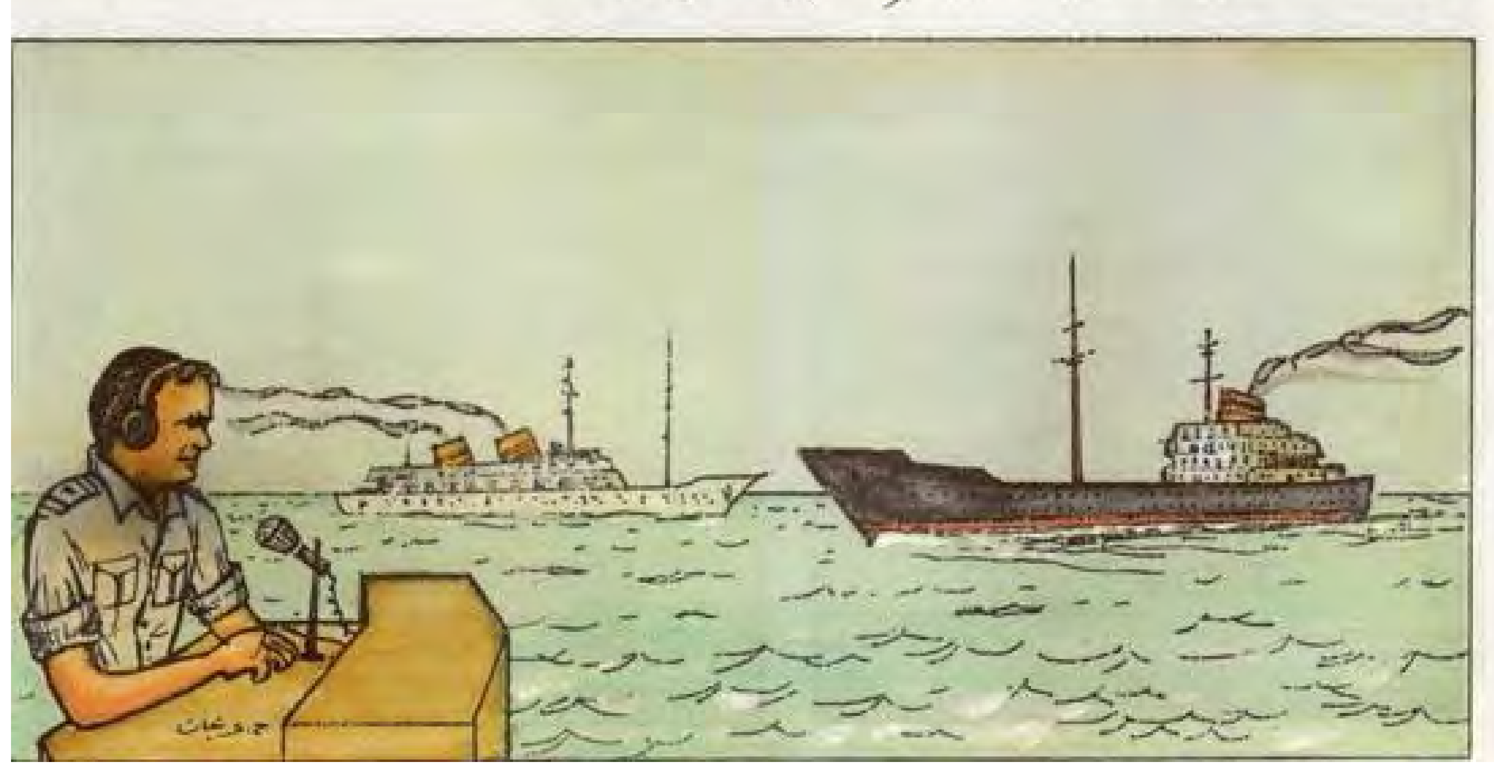


وتملك إبراهيم الرعبُ وهو يسمعُ
عن سرقةِ الأطفالِ والرجالِ
فقال:
- وهل هناك قراصنةٌ في
هذه الأيام ؟

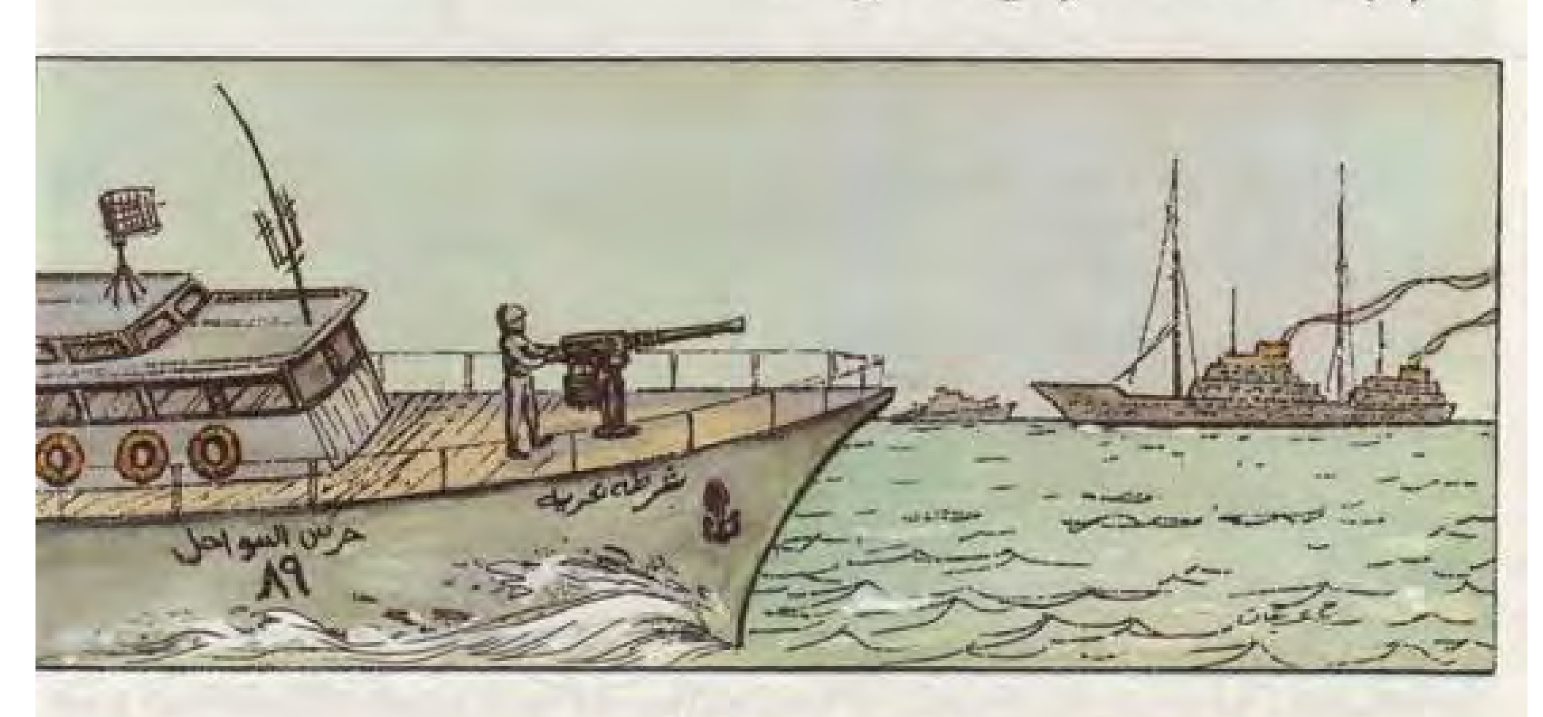


إبتسم الأب وهو يقول:
- لا .. لم يعد هناك
قراصنةٌ ولا قطاعُ طرق .. فلقد
أصبح السفر في البحارِ آمناً ..

منذ وضعت الأنظمةُ والقوانينُ الدوليةُ التي تمنع تعرض أيِّ إنسانٍ
لأيِّ سفينةٍ تسيرُ في البحار .. ومنذ أصبح الإتصالُ اللاسلكيُّ سهلاً بين السفن
وبعضها، وبينها وبين البلدِ التي تنتمي اليه ..

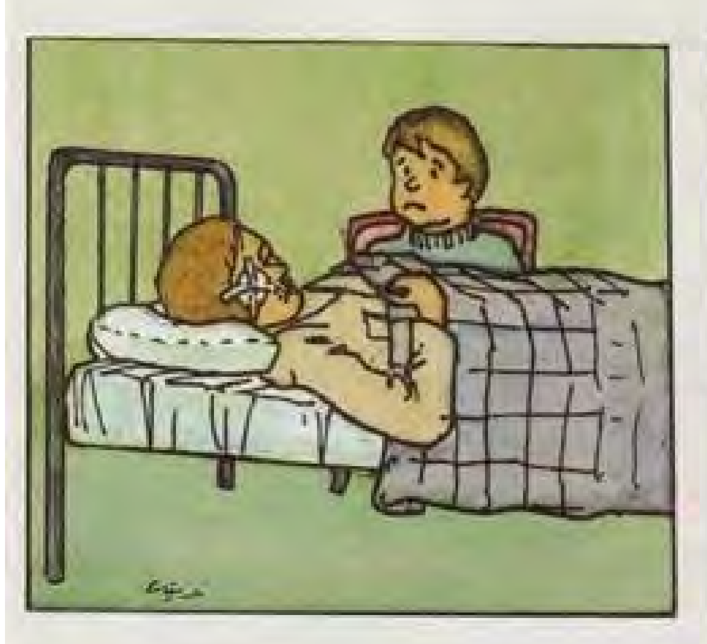


.. ثم ان كلَّ دولةٍ تحمي سواحِلها ومياهَها الإقليميةَ وسفنَها ومسافريها..
وذلك بإيجادِ سفنٍ ورجالِ شرطةٍ بحريةٍ.. أمّا في المياهِ التي لا تتبَعُ أيَّ دولةٍ
ويسمّونها «أعالي البحار» فتكونُ حريةُ الملاحةِ مكفولةً للجميع، ولا يحقُّ لأيِّ
دولةٍ الإعتداءُ على سفنِ غيرِها فيها..

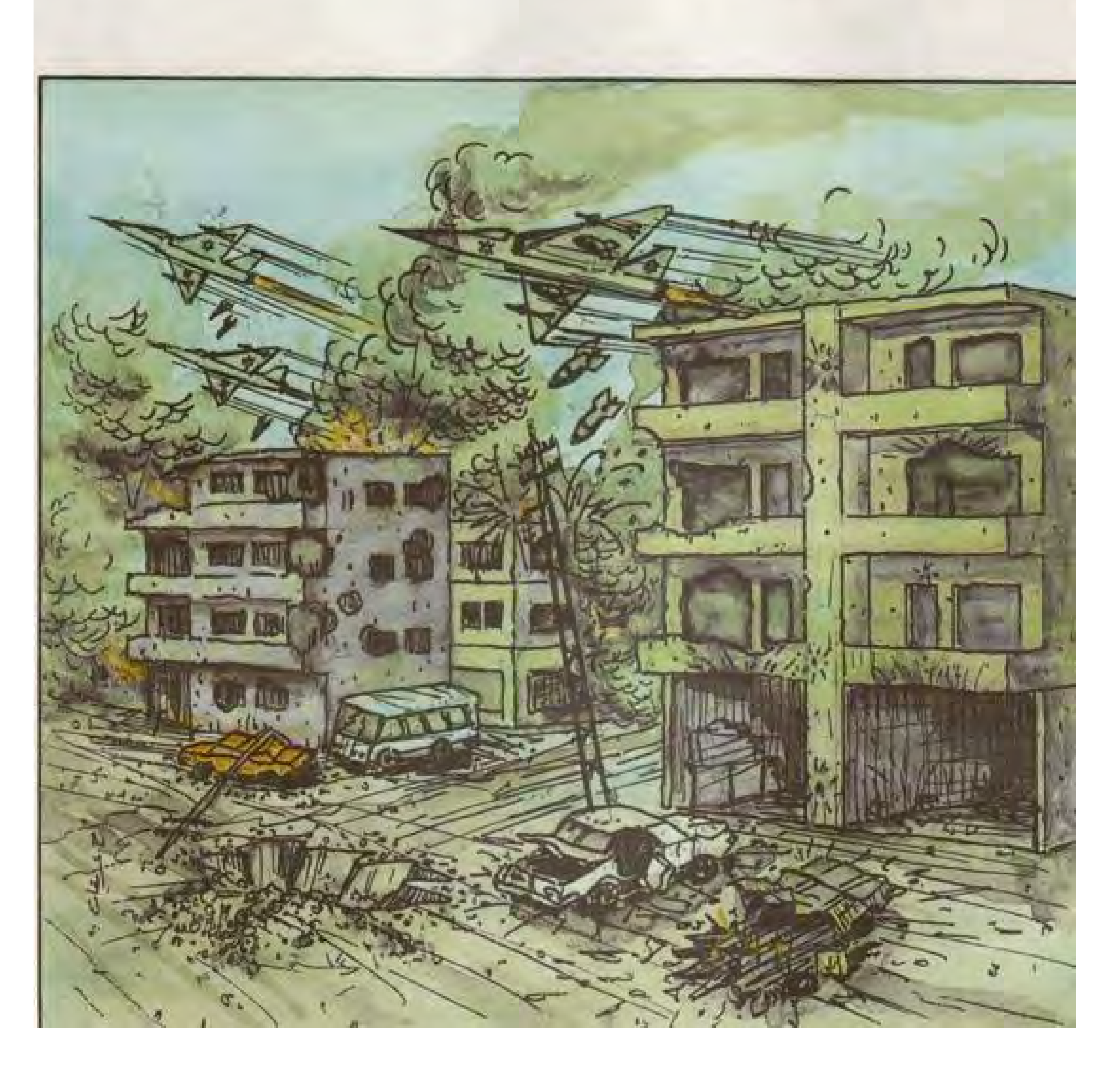


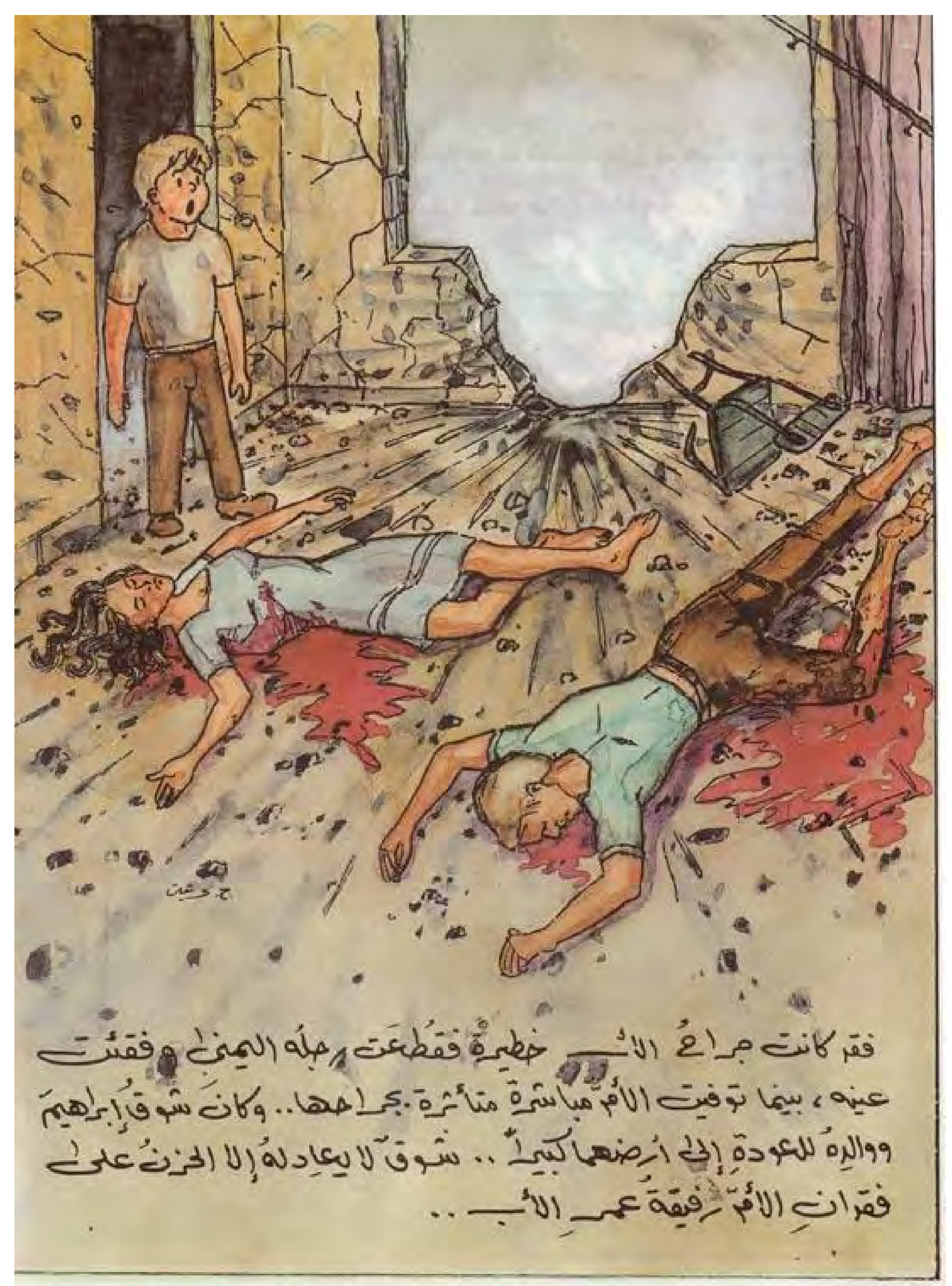
تابع الأبُ قراءةَ قصتِه، بينما جلسَ ابراهيم يفكّرُ بلصوصِ البحرِ ومغامراتهم..
كانَ ابراهيم ووالدُه مسافرَين إلى أرضِهما في لبنان بعدَ غيابٍ طويلٍ أمضياه
في المستشفيات..





فقد كانت إحدى القنابل الإسرائيلية قد سقطت على بيتهم في بيروت
وأصابتهم إصابة مباشرة .. نقلوا بعدها إلى المستشفى في مدينة
لارنكا في جزيرة قبرص للعلاج ..

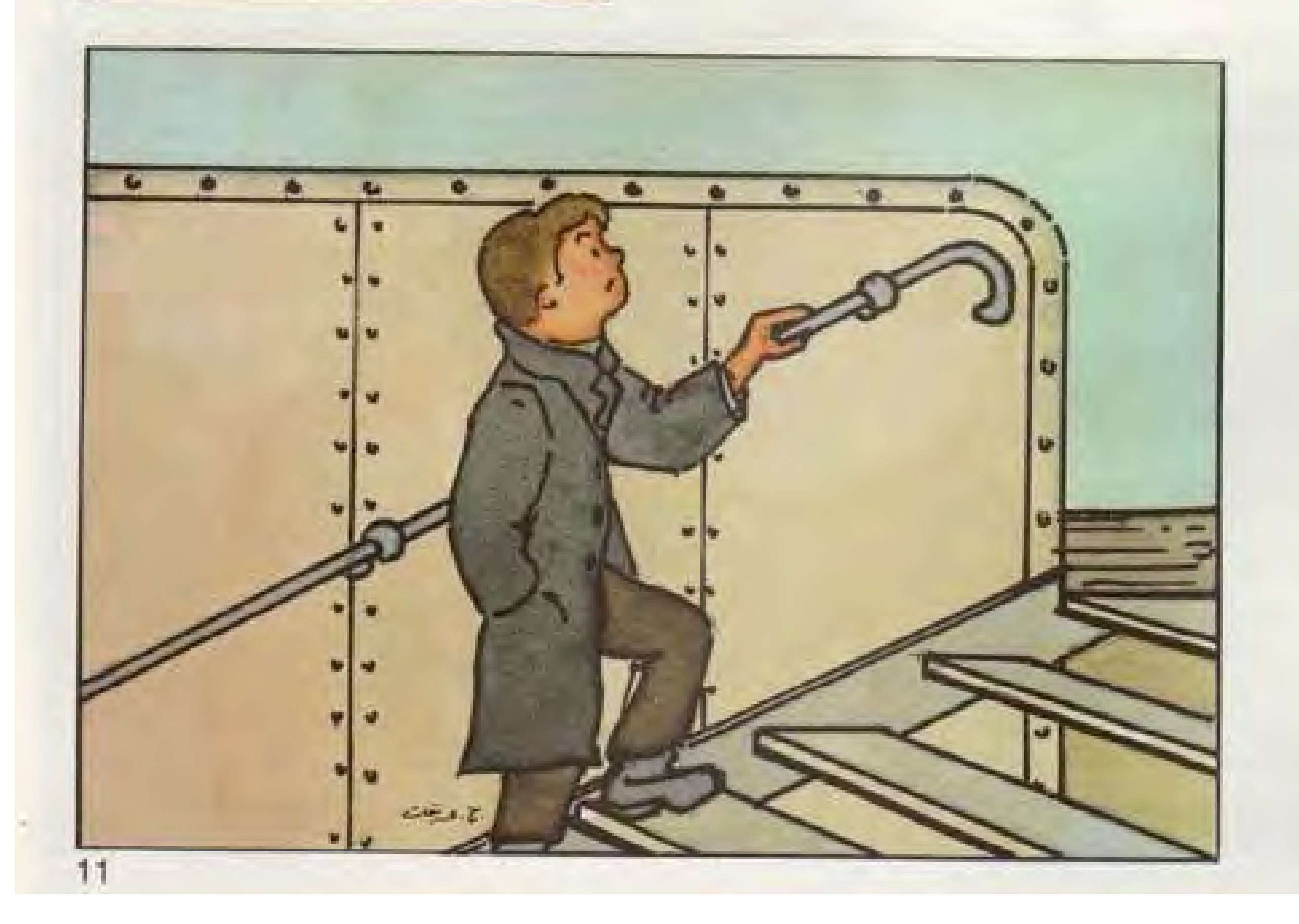




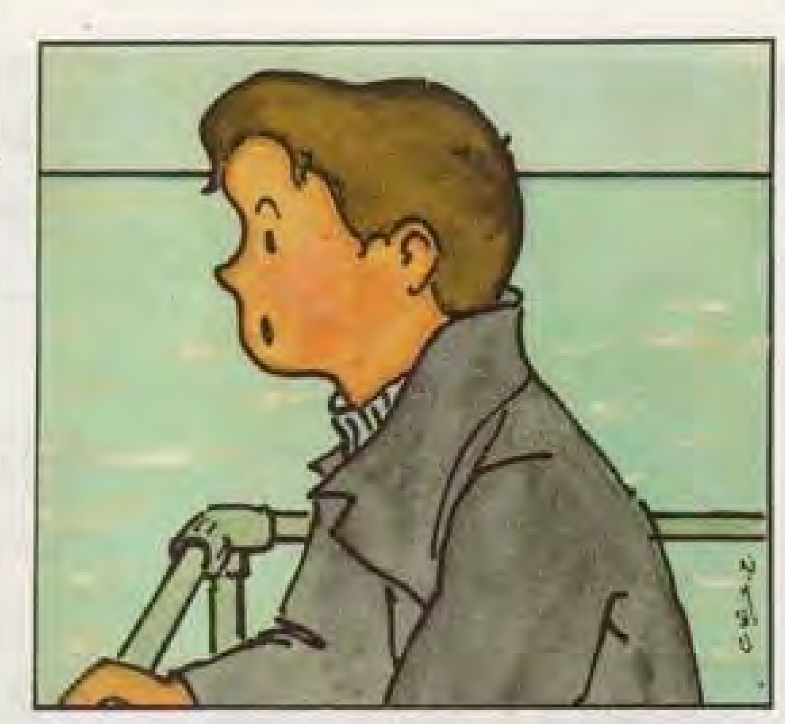
فقد كانت جراحُ الأبِ خطيرةً فقطعت رجلَه اليمنى وفقئت عينه ، بينما توفيت الأمُّ مباشرةً متأثرةً بجراحها.. وكانَ شوقُ إبراهيمَ ووالدِه للعودةِ إلى أرضِهما كبيراً .. شوقٌ لا يعادِله إلا الحزنُ على فقدانِ الأمِّ رفيقةِ عمرِ الأبِ ..

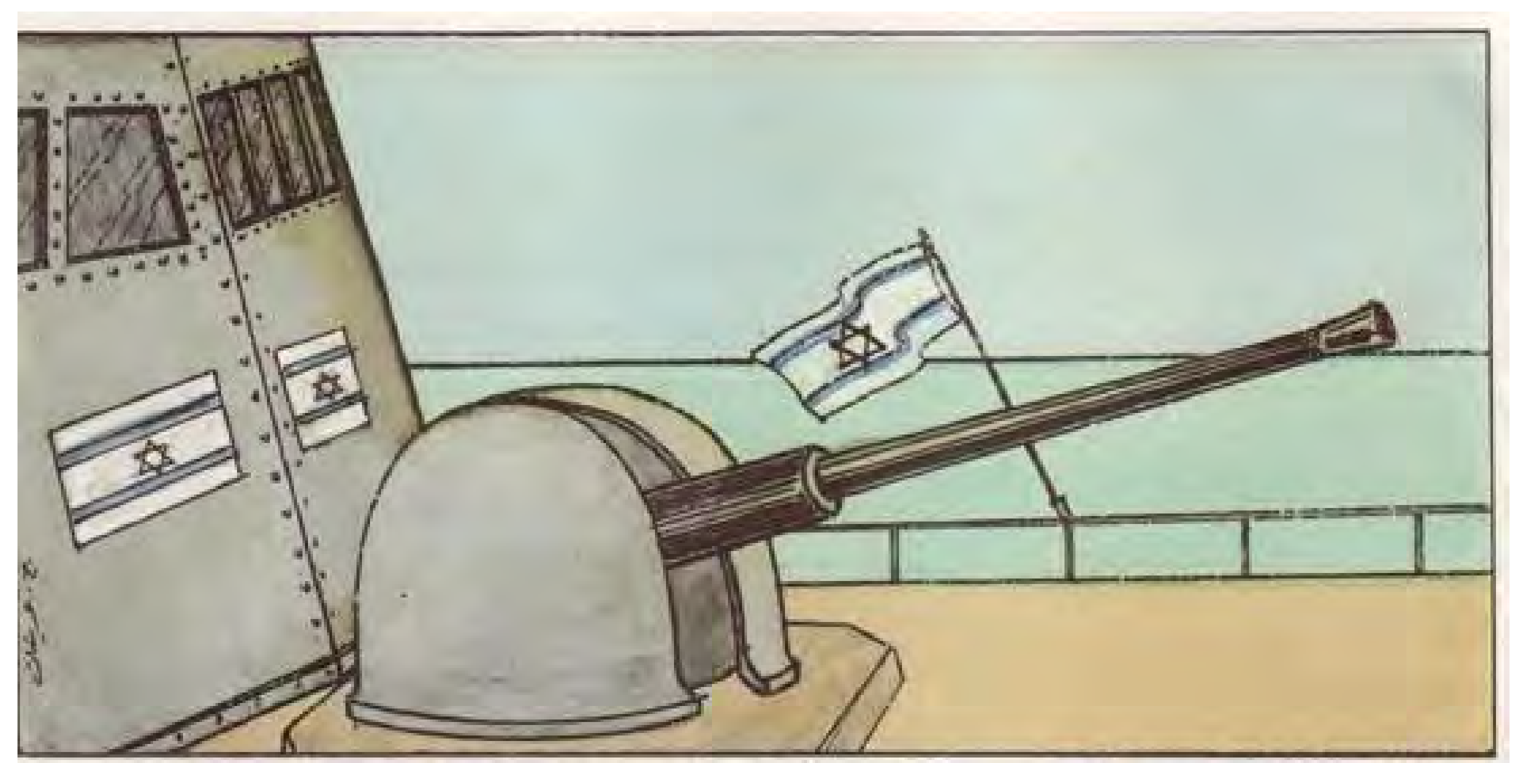
دقائقَ وإضطربَ الموقفُ على سطحِ السفينةِ.. كانَ اعصاراً مفاجئاً ثارَ على المنطقةِ بكاملها وإنطلقت صفاراتُ الإنذارِ تصم الآذانَ..

واضطربَ الأبُ وابراهيم.. وقام الأبُ إلى رجلهِ الصناعيةِ يريد أن يلبسها.. ولكن إبراهيم لم يلتفت اليهِ ليساعده ، بل جرى الى سطح السفينة يستطلع الأمرَ..



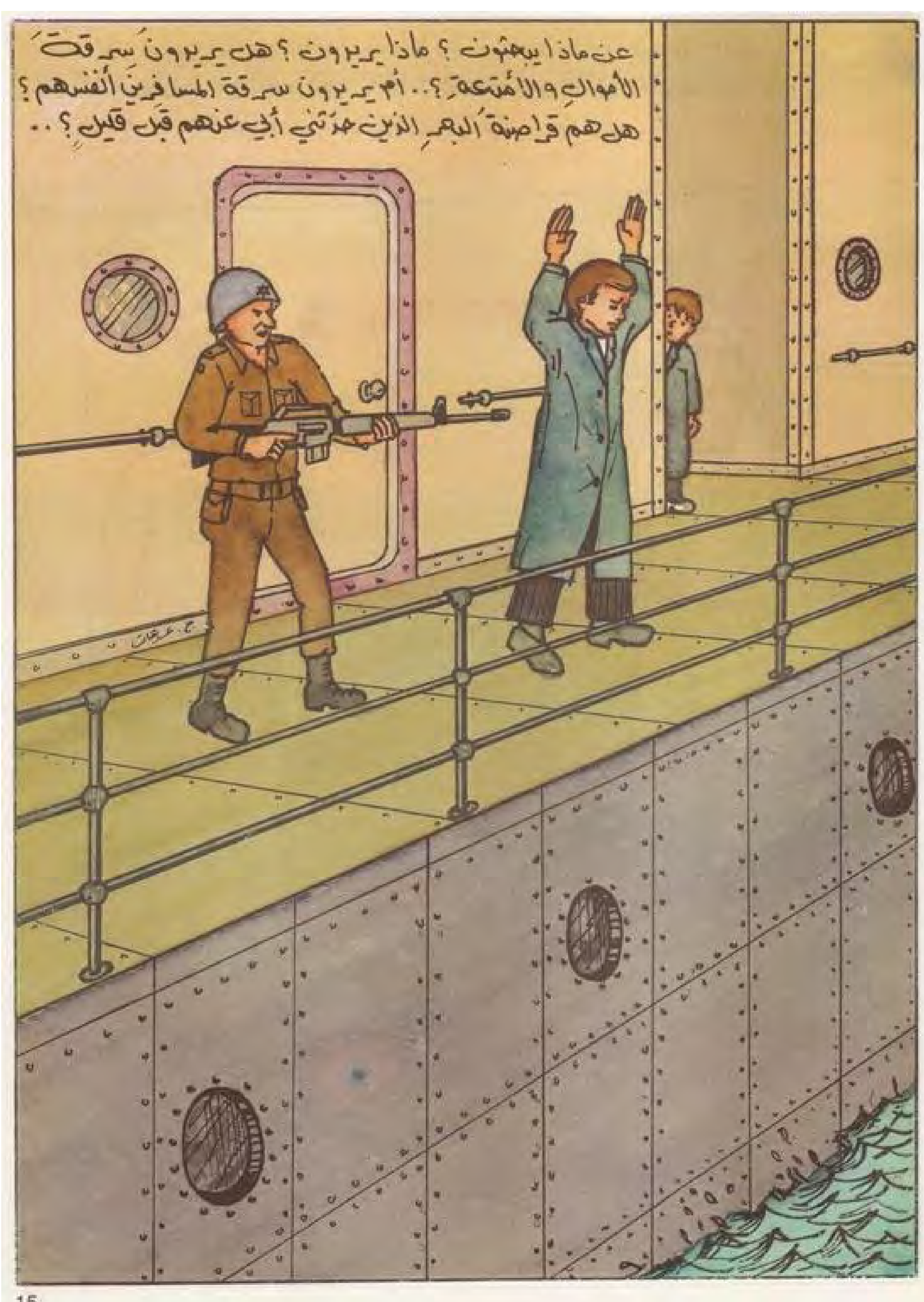
عن بعدٍ تراءى لإبراهيمَ سفينةٌ
رماديةٌ كبيرةُ الحجمِ تتجهُ إليها
أنظارُ الجميعِ وهي تقتربُ منهم
بسرعةٍ كبيرةٍ كانت تطلقُ صفاراتٍ
عاليةً، وتحدثُ بسرعتِها اضطراباتٍ
كبيرةً في الأمواجِ.





ولفتَ نظرَ إبراهيمَ علمُ السفينةِ فإذا هوَ يشبهُ أعلامَ الدباباتِ والطائراتِ الإسرائيليةِ التي كان يراها تدكُّ بيروتَ قبلَ سنواتٍ، ولفتَ نظرَهُ فوهاتُ المدافعِ على سطحِهَا.. هَل تكونُ تلكَ السفينةُ كالدباباتِ والطائراتِ الإسرائيليةِ..؟ هل تحملُ مدافعُها هذه، قنابلَ كتلكَ التي تحملها الدباباتُ..؟ وَهل ستطلقُ مدافعُها وَقنابلها عَلينا..؟


وأوقفت السفينة الفرنسية محركاتها تماماً بينما توقف عقل إبراهيم عن التفكير !!
هل سأصاب بالجراح مرة أخرى ؟.. وهل سيفقد والدي رجله الأخرى أم سيموت
كما ماتت والدتي ؟.. ماذا يريدون منا ولماذا يوقفون سفينتنا ؟..
اقتربت السفينة الإسرائيلية ، ونزل منها جنود اسرائيليون يحملون
نفس البنادق التي رآها إبراهيم من قبل ، ومن على حبال
السفينة الفرنسية تدافع الجنود الإسرائيليون يملأون
سطح السفينة وممراتها وغرفها.


عن ماذا يبحثون ؟ ماذا يريدون ؟ هل يريدون سرقةَ
الأموالِ والأمتعةِ ؟.. أم يريدون سرقةَ المسافرينَ أنفسهم ؟
هل هم قراصنةُ البحرِ الذين حدثني أبي عنهم قبل قليلٍ ؟..

وبعدَ أكثرَ من ساعةٍ سمِعَ القائدُ الاسرائيليّ يقولُ لقبطانِ السفينةِ القبرصية:
- يمكنكم الآنَ متابعةَ سيرِكُم .. كنا نريدُ التأكُّدَ من أنكم لا تحمِلونَ فدائيين فلسطينيين معكم، فقرارُ وقفناكم للقبضِ عليهم.

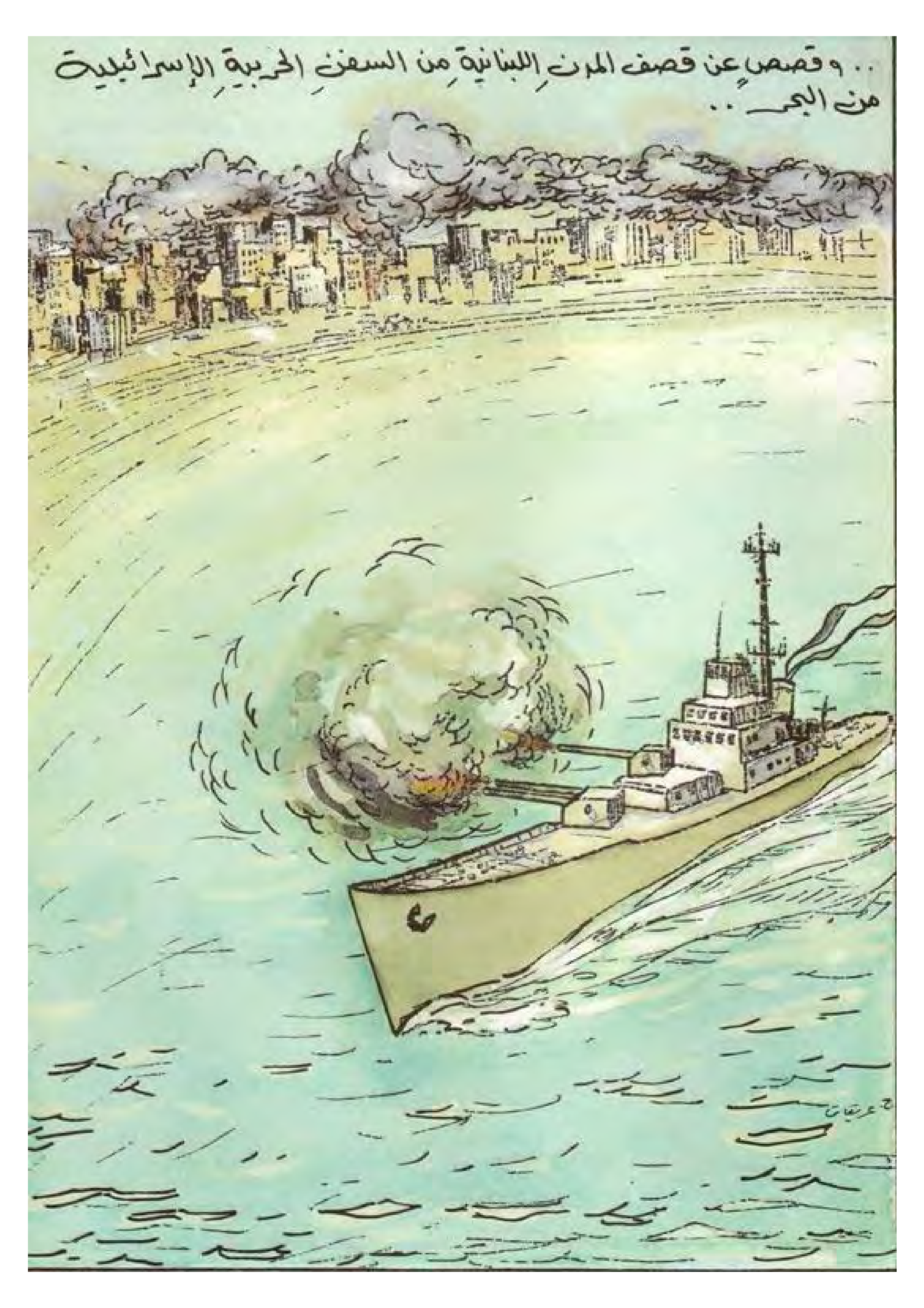


إذا كانوا يريدون سرقة الرجال حقاً.. كانوا يريدون سرقة الفلسطينيين
.. فأين هي القوانين والأنظمة التي قال أبي أنها تحمي الإنسان
في سفره في البحار..؟ وكيف قال أنه لم يعد هناك "قراصنة"
في البحار؟. تلك مسألة "غريبة" حقاً..


وفي تلك الليلة، وفي الليالي التالية، كان حديث ملاحي السفينة وركابها غريباً أيضاً.. لم يفهمه ابراهيم.. كانوا يروون قصصاً عن حوادث سرقات، وقرصنة قامت بها سفن "إسرائيلية" لسفن عربية وغير عربية.. أحدهم ذكر كيف سرقت اسرائيل سفينة عليها طلاب عرب واقتادتها الى الشواطئ الفلسطينية المحتلة للتحقيق معهم..


.. وأحدُهم ذَكَرَ كيفَ سرقتْ إسرائيلُ سفناً تحملُ موادَ ثمينةً
جداً إسمها، اليورانيوم المشع "


.. وقصة عن قصف السفن والطائرات الإسرائيلية لسفينة اميركية، تسمى "ليبرتي" وقتل ملاحيها..
وأحدهم ذكر قصة قديمة عن سرقة إسرائيل لعدد من الزوارق الحربية من الموانئ الفرنسية..
GTR5


.. وقصصٍ عن قصفِ المدنِ اللبنانيةِ من السفنِ الحربيةِ الإسرائيليةِ من البحر ..

في تلك الليلة قالوا قصصاً كثيرة .. بعضها فهمها إبراهيم وبعضها لم يفهمها فسأل عنها فيما بعد .. ولكنه ظل منذ تلك الليلة يفكر فيما رأى وفيما سمع .. قال في نفسه لابد أن الأطفال العرب سيسمعون أيضاً ما حصل لي ولوالدي وما يحصل لغيري من الفلسطينيين العرب .. ولابد أنهم سيفكرون بما أفكر به الآن .. وهو إلى متى ستظل إسرائيل تخيفنا بدباباتها وطائراتها وسفنها الحربية .. ؟ إلى متى ستظل على لصوصيتها وقرصنتها وإرهابها .. ؟ ومن سيوقفها عن أعمالها الشريرة .. ؟ ومن سيضع حداً لإرهابها ؟ ؟. ولابد إننا جميعاً، أنا والأطفال العرب عندما نفكر معاً في تلك القصة المشكلة سنجد لها الحل ..



القوة طريق النصر

تمت


-١٣-
سناء محيدلي
تأليف:
روضة الفرخ الهدهد

حكايات بطولية للأطفال
- ١٣ -

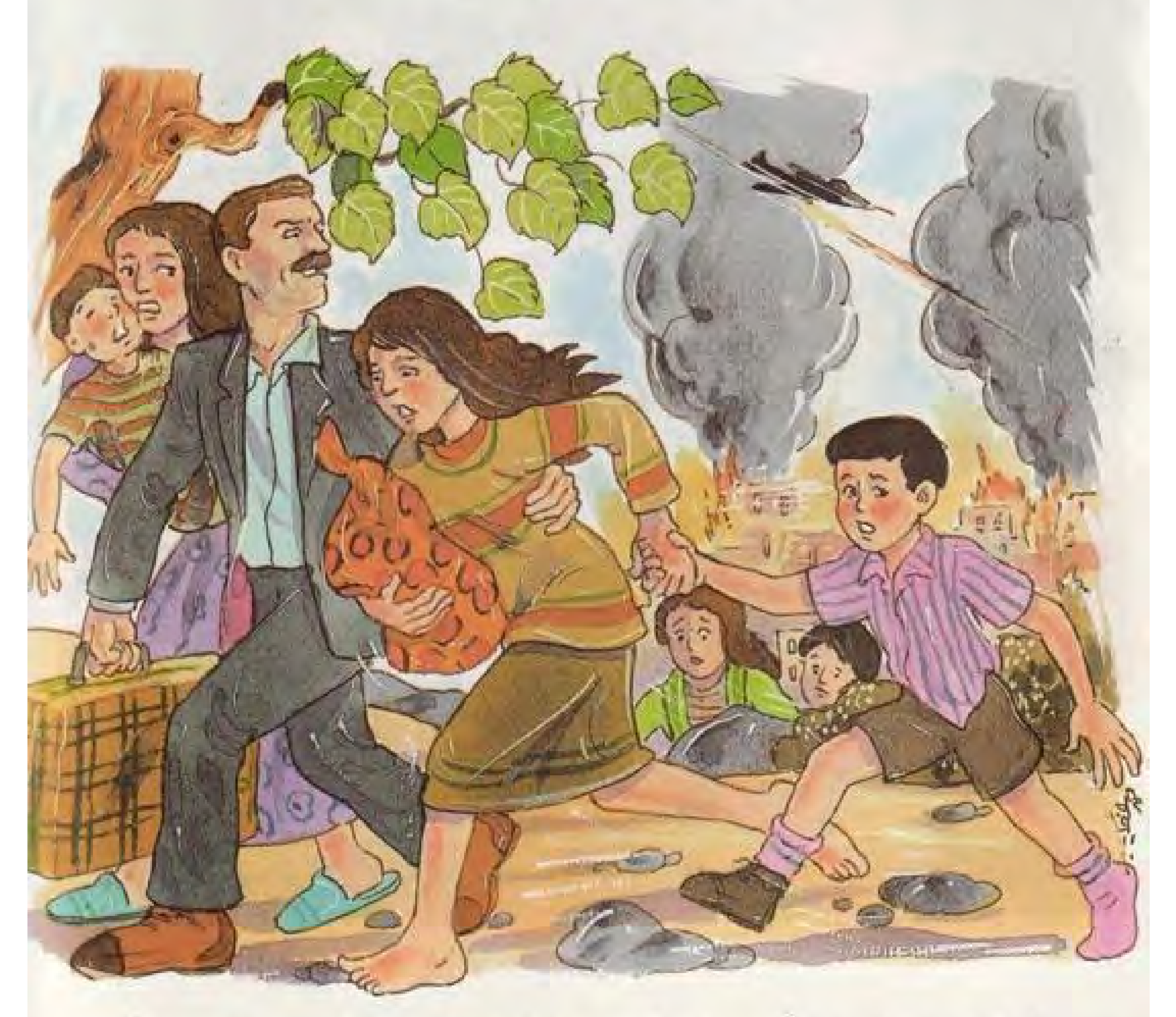
سناء محيدلي

تأليف :
روضة الفرخ الهدهد

رسوم :
أحمد الخطيب

مؤسسة علي أبو صالح للطباعة

سناء محيدلي



حَمَلت سناءُ صرةً من الملابسِ ، وخَرَجَتْ مع أهلِها وأبيها وأُختِها الصغرى مِنْ بيتِهم في مدينةِ صيدا في جنوبِ لبنانَ هاربين إلى بيروتَ، فلقدْ دَخَلَتْ مدينتهم قواتُ الاحتلالِ الإسرائيلي . .

لم يكن عمرُ سناءَ يومَها يتجاوزُ الخمسةَ عشرَ عاماً .[1] تركتْ مدرستَها وصاحباتِها، وهربتْ مع أهلِها من وجهِ الغزاةِ الذين دخلوا مدينتَها وأخذوا

(١) ولدت سناء في بلدة عنقون «الزهراني» في جنوب لبنان في ١٤ أب ١٩٦٨ .



يهدمون البيوتَ والمدارسَ ويقتلون الرجالَ والنساءَ. . انتقلت سناءُ إلى بيروت، وهي حزينةٌ لتركِ بيتِها. . ولكنها هناكَ أصبحت أكثرَ حزناً، عندما فوجئتْ بأنها ستسكنُ هي وأهلها في غابةٍ كلُها أشجار. . لم يكن هناك بيوتٌ بجدرانٍ اسمنتية أو حجريةٍ تأويهم. . فهؤلاء الآلافُ مِنَ المهجرين، من الجنوبِ قد افترشوا الغابات والمتنزهات ليسكنوا فيها.

ووضع أهلُ سناءَ الشراشف وألواحَ الخشبِ بين الأشجارِ كي يحددوا بيتَهم بجدرانِه القماشيةِ الواهيةِ الضعيفةِ.



واكتظتِ الغابةُ بالمهجرين ، يهربون من قنابلَ وحرائقَ ورصاصِ قواتِ الاحتلالِ الإسرائيلي . . وسكنوا بيوتاً من القماشِ وألواحِ الخشبِ . . وكانت سناءُ تجلسُ كلَ يومٍ تستمعُ للقادمينَ الجددِ يروون ما يحصلُ لقراهم وبيوتهم وأهلِهم من مآسٍ على يدِ الجنودِ الإسرائيليين المحتلين .

كان قلبُ سناء يمتلىء حزناً وألماً وهي تسمعُ وترى ما يحصلُ لابناءِ بلدِها . . فكانت تذهبُ كلَ يومٍ لرؤيةِ الأخبارِ من جهاز تلفزيون في إحدى العماراتِ القريبةِ . . وترى البيوتَ تُهدمُ والنساءَ يبكينَ والرجالَ والأطفالَ يُقتلون



فتعودُ إلى بيتها والألمُ يكادُ يعتصرُ قلبَها الصغير..

وفي يومٍ من الأيامِ ذهبت سناءُ لتسمعَ الأخبار كالمعتادِ، وجَلستْ قربَها فتاةٌ عربيةٌ لم ترَها من قبلُ ولكن هذه الفتاةَ كانت أيضاً تتحدثُ بشكلٍ غريبٍ ونفسيةٍ غريبة.

كانت كلما ظهرَ على التلفزيونِ شريطٌ مأساويٌ يعرضُ سياراتِ الأسعافِ تحملُ المصابين العربَ أو ترى البيوتَ مهدومةً.. تقولُ بحماس: طبعاً إن ثمنَ النصرِ كبيرٌ... ومقابلَ كلِ جريحٍ أو قتيلٍ عربيٍ سيكونُ هناكَ جريحٌ أو قتيلٌ إسرائيلي.. ومقابلَ دموعِ نسائِنا ستذرفُ النساءُ الإسرائيلياتُ دموعاً غزيرةً على أبنائِهن..

وتكررت لقاءاتُ سناءَ مع هذه الفتاة، كانت ترتاحُ إلى لقائِها والحديثِ إليها.. وكانت تحدثُها عن مجموعةٍ من الشبابِ يطلقون على أنفسِهم «جبهةَ المقاومةِ اللبنانية» يقومون بعملياتٍ فدائيةٍ ضدَّ الصهاينةِ المحتلين.. وكلما كانت



سناءُ تتألم وتستاء لما يحصلُ لأهلِ بلدِها في جنوبِ لبنانَ، كانت هذه الفتاةُ تزرعُ في قلبِها القوةَ والعزيمةَ، لأن هؤلاءِ الشباب والفتيات لن يقفوا مكتوفي الأيدي، بل سيضربون جنودَ الاحتلالِ حتى يومِ النصر.

ومع مرورِ الأيامِ كان الأملُ والألمُ يزدادان في نفسِ سناءَ.. وطال الفراقُ وطالَ الانتظارُ.. إلى متى ستظلُّ تنتظرُ الآخرين ليدافعوا عن بيتِها.. وهي؟ أين دورُها؟ لماذا لا تشتركُ هي مع هؤلاءِ الذين يطلقون على أنفسِهم اسمَ «جبهة المقاومة اللبنانية».. أليست هي لبنانيةٌ أيضاً؟ لماذا تنتظر؟.

وعلى إنفرادٍ أعلنت سناءُ لصديقتِها عن عزمِها على الانضمامِ لجبهةِ المقاومةِ والتدريبِ لمحاربةِ هؤلاءِ الظالمين..

وبدأ تدريبُ سناءَ واستعدت ليومٍ اعتبرته هي يومَ عرسِها، يوم شهادتِها.. اقتنعت سناءُ بطريقةٍ مثاليةٍ للدفاعِ عن بلدِها.. عملية فدائية تستشهد هي فيها بلا شكٍ مقابل أن يموت فيها خمسون جندياً إسرائيلياً على الأقلِ ذلك لأن

هؤلاء الجنود لا يسيرون إلا بالعشراتِ وداخَل دباباتِهم ومصفحاتِهم ولا يمكنُ القضاءُ عليهم، وبالجملِة، إلا من خلالِ معركةٍ فدائيةٍ .. فكيف ستكونُ هذه المعركةُ الفدائيةُ يا ترى؟

تدربت سناءُ على قيادةِ سيارةِ «بيجو» صغيرةٍ. كانت تتدربُ على قيادتِها ثم الانحرافِ بها فجأةً لليمين أو الشمال .

وكان أصدقاؤها في جبهةِ المقاومةِ اللبنانيةِ، يسألونها إذا كانت لا تزالُ تريدُ القيامَ بهذه العملية، فتقولُ وبكلِ حماس : نعم لأجلِ أن يعودَ أبي وأمي وأختي إلى بيتِهم.. ولاجل أن تتحررَ صيدا والجنوبُ من إسرائيلَ.. ولاجلِ أرواحِ كلِ الشهداءِ قبلي وبعدي.



وفي اليومِ المحددِ[1] . . يـوم عرسِهـا كما أسمتـه . . ركبت سناءُ محيـدلي سيـارتَها وفيهـا المـوادُ المتفجـرةُ . . الـديناميت ٢٠٠ كلغ من مـادة الـ ت . ن . ت الشديدة الأنفجار . . واتجهت إلى المكانِ المحددِ المرسومِ[2] . . وعن بُعْدٍ ، ظهـرَ لها الهدف . . قافلةُ جنودٍ إسرائيليين بدباباتِهم ومصفحاتِهم تسيرُ باتجاهِهـا وسارت سنـاءُ بكلِ هـدوءٍ تجاهَهم . . لم يكن عمـرُها يتجاوزُ السادسـةَ عشرةَ ، لم تخبرْ والـدتَها ولا أختهـا ولا والدهـا . . واقتربت قـافلةُ الجنـودِ الإسرائيليين واقتربت سناءُ . . امُها ستحزنُ بلا شـك ولكنها ستعـرفُ السببَ . . والدُهـا سيفقدُهـا ، ولكن سيشعرُ بالفخر . . اختُها الصغُرى ستبكي ، ولكنها ستفهمُ عندما تكبر .

واقتربت القافلةُ من سناء . . ومرت الدبابةُ الأولى قربَها، ولم تحولْ نظرَها



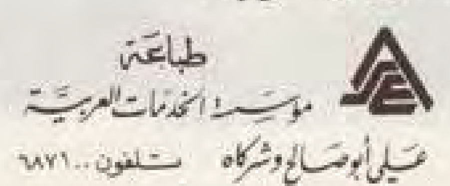
(١) ٩ نيسان ١٩٨٥

(٢) [illegible]

عن الطريقِ أمامَها.. ومرت الدبابةُ الثانية.. وسناءُ هادئةٌ تسيرُ إلى الأمامِ.. ثم فجأةً.. انحرفت الى اليسارِ بأقصى سرعةٍ.. حولت عجلةَ القيادةِ دورة كاملة إلى أقصى اليسارِ واصطدمتِ بالدبابةِ الثالثةِ.. ودوّى الانفجارُ الصاعقُ.. وانفجرتْ سيارةُ سناء بالدبابة الإسرائيليةِ.. واحترقت السياراتُ الأخرى الأولى والثانيةُ والرابعةُ والخامسةُ.. وأستشهدت سناءُ.. ومات مقابلها خمسون جنديا إسرائيلياً على الأقل.. تماماً كما حلمت سناءُ، وتماماً كما خططت وخطط معها رفاقُها.

وتحررت صيدا.. وخرج منها الصهاينةُ.. وعادَ إليها والدا سناء وأختُها.. وظلت ذكرى سناء تملأ الصدُور والقلوب.

١٩٨٥/٤/٢٦م



كُتبٌ صَدَرَت للمُؤلفة

روضة الفرخ الهدهد

